الفصل التاسع

الكنيسة

لم يرتفع متروبوليتات موسكو الى رتبة البطاركة إلا في عام ١٥٨٩ اي بعد خمسة أعوام من وفاة إيڤان ، وكان الأتراك قد استولوا على القسطنطينية في عام ١٤٥٣ واستعبدوا الشرق الأرثوذكسي وأفقروا البطاركة والأديرة . وكانت الأمة الأغنى من غيرها بما لا يقاس والأكثر قوة في مجموعة الكنيسة الأرثوذكسية هي روسيا التي سلمت من احتلال المسلمين . وكان لا بد للكنيسة الأرثوذكسية الروسية في السنوات التي تلت من أن يكون لها بطريركها الخاص بها طالما كانت تسلك معارج القوة والمجد .

إلا ان الكنيسة بمقدار ما كانت تصبح أكثر غنى كانت تضعف فيها الروح . والأوقاف التي كان قد وقفها عليها أشرار النفوس لتهدئة غضب الإله بعد حياة قضوها في الخطيئة سببت للكنائس الكثير من التعقيدات الرهيبة . وفي زمن إيڤان الرابع كانت الكنيسة غنية جداً فجرّ غناها هذا السلطة الدنيوية الى الاغتصاب . وإنه لمما يثير الفضول في روسيا إيڤان الرابع المفرطة التقى ان نشاهد أن الثروة المكدسة في الأديرة لم تكن تعتبر بكل بساطة « ملكاً لله » ، كما أن من المدهش حقاً أن حياة وسلوك أولئك الذين غادروا هذا العالم ولم يتم دفنهم بعد كانا قابلين للنقاش .